الفصل الثاني

ترجمة سيد قطب وتفسيره الظلال.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سيرة الشيخ سيد قطب وتعريف تفسيره ومنهجه.

المطلب الأول: نشأته ودراسته ومذهبه.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير في ظلال القرآن من حيث الوصف والتأليف.

المبحث الثاني: كيف كتب الشيخ سيد قطب رحمه الله تفسيره في ظلال القرآن.

المطلب الأول: الأسس التي بني عليها الشيخ سيد قطب رحمه الله تفسيره في ظلال القرآن.

المطلب الثاني: طريقة الشيخ سيد قطب رحمه الله في التفسير.

المطلب الثالث: أهم ميزات تفسير في ظلال القرآن.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الْمَبْحَثُ الأوَل

سيرة الشيخ سيد قطب وتعريف تفسيره ومنهجه

المطلب الأول: نشأته ودراسته.

سيد قطب (١٣٢٤ – ١٣٨٥هـ، ١٩٠٦ – ١٩٦٦م).

قليلا ما تنطبق الأسماء على مسمياتها ونحسب أن الشيخ سيد قطب من الذين تنطبق أسماؤهم عليهم فقد كان هذا الراحل المبدع سيدا شامخا كالجبال منذ صغره حيث كانت اهتماماته اهتمامات الكبار وفي شبابه حيث ملك نفسه ولم يسمح لها أن تقوده إلى الشهوات وفي انتمائه إلى الإسلام وانتسابه للتيار الإسلامي وتحركه بالإسلام وجهاده في سبيل الله وفي استعلائه على الطغيان وثباته على الحق وصبره على المحنة ومواقفه أمام الطغاة وكان سيدا حتى في مفارقته هذه الحياة حيث رزقه الله الشهادة وهى أمنية كل مسلم صادق فلقد عاش سيدا ومات سيدا، وكما كان رحمه الله وتقبل شهادته سيداً كان قطباً في الأدب والنقد يقبل عليه القراء والمثقفون على مقالاته وقصائده وتحليلاته بشغف واستمتاع وكان قطباً في فكره الإسلامي فقد كان في طليعة المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث وكان قطبا في جهاده وثباته واستشهاده واقتداء الشباب الإسلامي المجاهد به.[١]

وهو سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشه بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، وبها تلقى تعليمه الأوّلي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبد العزيز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام ١٣٥٢هـ، ١٩٣٣م.

(١) سيد قطب. *دراسات إسلامية*. دار الشروق.

ولقد عاصر الشيخ سيد قطب رحمه الله في مصر نهضة فكرية كبيرة شملت مختلف النواحي الأدبية وذلك يرجع إلى افتتاح المدارس واطلاع كثير من الأدباء على الأدب الغربي سواء عن طريق البعثات إلى الخارج أو عن طريق الاطلاع على الكتب المترجمة، من ثم ما أحياه البعض من التراث العربي [١].

كما قامت في عصره نهضة دينية على يد الشيخ محمد عبده الذي كان أستاذا في الأزهر، ثم أصبح مفتي البلاد _ حيث ابتدأها بإصلاح مناهج التعليم والمحاكم الشرعية والمساجد كما كانت له أعمال إصلاحية أخري [٢] كتأسيس جمعية خيرية وترأس جمعية إحياء الكتب العربية.

وقد حمل راية الإصلاح بعده الشيخ رشيد رضا رحمه الله وقام بواجبه الإسلامي في هذا الإصلاح، كما ألف عدة كتب إسلامية.

وفي عام ١٩٢٨ للميلاد أنشأ الشيخ حسن البنا رحمه الله جماعة الإخوان المسلمين وكانت تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي، وتحاول تربية الأفراد تربية إسلامية متوازنة، وقد أثبتت وجودها فعلا في المجتمع المصري، فأنشأت المدارس والمستشفيات والمساجد والمكتبات، والمصانع والشركات ((٣)) وأثبتت إمكانية قيام مجتمع إسلامي يطبق أفراده التعاليم الإسلامية بقدر الإمكان، وقد كان نشاط الجماعة الثقافي بارزا للعيان، فقد كتبوا العديد من المؤلفات الإسلامية [٤] التي تتحدث في شتى المواضيع وتهدف إلى بيان الحياة الإسلامية السعيدة التي يجب أن يكون عليها المسلمون اليوم.

---

(١) عمر دسوقي. ٢٠٠٠م. *في الأدب الحديث*. دار الفكر العربي: دمشق. جـ ١ ص ٥٦ _ ٥٧.

(٢) غازي التوبة. ١٩٧٧م. *الفكر الإسلامي المعاصر*. الطبعة الثانية. دار القلم: بيروت. ص ١٣ _ ٥٤.

(٣) محمد شوقي زكي. ١٩٨٠م. *الإخوان المسلمون والمجتمع المصري*. الطبعة الثانية. دار الثقافة العربية للطباعة. ص ١٣٧: ٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه. ص ١٧٤ _ ١٨٠.

بالإضافة إلى مقالاتهم التي كانت تظهر في الصحف والمجلات سواء منها من كان تابعا لهم [١] أو لغيرهم ولا يغيب عن البال المحاضرات التي كانوا يلقونها في سبيل نشر الثقافة الإسلامية [٢] ولا شك أن الشيخ سيد قطب رحمه الله تأثر بهذه النواحي الأدبية والدينية تأثرا كبيرا حيث كان يعايشها بكل كيانه، واستعداده الكامل للتفاعل معها ونشرها بين الناس.

وقد نشأ الشيخ سيد قطب رحمه الله في قرية صغيرة وفي أسرة كريمة متوسطة الحال متدينة شجعت ابنها البكر على الالتحاق بمدرسة القرية، فأظهر تفوقا ملحوظا وكان كثير الاطلاع وقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره [٣]

وأما البيئة التي عاشها شابا فكانت في المدينة حيث بدأ في تقوية حصيلته الثقافية منذ التحاقه بمدرسة المعلمين إلى أن تخرج من كلية دار العلوم وكان رحمه الله يقرأ في كل العلوم وكان يقرأ كل ما اتصلت إليه يداه، أو تقع عليه عيناه وكان أن تأثر بعدة أدباء تأثرا أدبيا وفكريا وخاصة شخصية أستاذه العقاد الذي استفاد كثيرا من مكتبته وثقافته ومن نظراته في الأدب، والشعر والنقد والفن فصارت اهتماماته أدبية فنية لفترة طويلة من الوقت وبعدها اتصل بالقرآن الكريم وتأثر بالشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، وكان ذلك عام ١٩٤٨ وكانوا ممن يدافعون عن الإسلام ويدعون إلى تحكيمه في شئون الحياة ويبرزون سمو النظام الإسلامي [٤] ثم ظهرت كتبه الإسلامية " التصوير الفني في القرآن الكريم "و" مشاهد القيامة في القرآن الكريم "و" العدالة الاجتماعية في الإسلام " ثم تتابعت كتبه الإسلامية بعد ذلك.

---

(١) المصدر نفسه. ص ١٨١ ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٨٣ _ ١٨٥.

(٣) بركات، محمد توفيق. *سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة*. ص ٩ بتصرف.

(٤) بركات، محمد توفيق. *سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة*. ص ١٤.

أســـــــــــرته:

نشأ الشيخ سيد قطب رحمه الله في أسرة ميسورة الحال متميزة عن بقية أسر القرية ويوضح ذلك ما بينه الشيخ سيد قطب رحمه الله من مكانة والديه في أسرتيهما.

والـــده:

كان رجلا متدينا مرموقا بين سكان القرية يهتم بزراعة أراضيه ويعطف على الفقراء ويبر بهم مما اضطره أن يبيع قسما كبيرا من أطيانه [١].

وكان والده رحمه الله يعيش واليوم الآخر نصب عينيه بمعنى أنه كان متسامحا، جوادا، متصدقا، يؤثر غيره على نفسه، ويعفو عمن أساء إليه وذلك كله ابتغاء الله في ذلك اليوم، وخير ما يدل على هذه الصفات ما جاء في إهداء الشيخ سيد قطب رحمه الله لوالده رحمه الله كتابه " مشاهد يوم القيامة ((٢)).

والـــــــــدته:

كانت أمه من أسرة مرموقة لها مكانة جمعت بين الوجاهة العلمية والاجتماعية وكانت كريمة سخية تصنع الطعام وتعده بنفسها للقراء الذين يأتون لتلاوة القرآن الكريم في منزلهم، وللعمال الغرباء الذين يعملون في حقول الأسرة تجهزه _ كما كانت تجهز طعام الأسرة _ بنفس راضية راغبة ثوابه جلا وعلا [٣].

وكانت دائمة الاستماع إلى القرآن الكريم بخشوع وتأمل وكانت تحث ابنها سيدا على أن يقرأ لها القرآن الكريم وقد ذكر الشيخ سيد قطب رحمه الله هذه الصفة فيها في إهدائه كتابه "التصوير الفني في القرآن

---

(١) مهدي فضل الله. ١٩٨٧م. *مع سيد قطب في فكره السياسي والديني*. مؤسسة الرسالة. ص ٤٣.

(٢)سيد قطب. *مشاهد القيامة في القرآن*. دار الشروق. ص ٣ باختصار.

(٣) سيد قطب. *طفل في القرية*. دار الشروق. ص ١٦٦.

الكريم " لها، قائلا: " لطالما تسمعت من وراء الشيش في القرية للقراء يرتلون في دارنا القرآن الكريم، طوال شهر رمضان وأنا معك _ أحاول أن ألغو كالأطفال _ فتردني منك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة، فأنصت معك إلى الترتيل، وتشرب نفسي عذوبة أدائه وإن لم أفهم بعد معناه، وحينما نشأت بين يديك بعثت بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتح الله عليّ، فأحفظ القرآن الكريم وأن يرزقني الصوت الرخيم فأرتله لك كل آن.

وكانت الأم حريصة على تربية أبنائها التربية الإيمانية وكانت تعتني بسيد عناية فائقة _ لأنه الأبن الكبير بعد أخته التي تكبره بثلاث أعوام، وغرست في نفسه من الصفات الإيمانية ما يجب أن يكون عليه رجل المستقبل من عزة وكرامة واقتصاد، وتحمل مسئولية، فقد كانت تريد منه أن يكون رجلا قبل أوانه، لذا كانت تفضي إليه ببعض ما كان يكدر صفو حياتها [١] وقد توفيت والدته عام ١٩٤٠ م [٢].

ولذا فلا شك أنها تركت أثرا كبيرا ملموسا على حياته جعلت منه رجلا عظيما من القلائل في عصره.

مضت حياة سيد قطب في مرحلتين:

١_مرحلة النشاط الأدبي.

وقد بدأت الأولى منذ كان طالبًا بدار العلوم، فنشر العديد من المقالات النقدية في المجلات والصحف، عن العقاد والرافعي وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ، وجمع بعضها في كتابه كتب وشخصيات (١٩٤٦م) وكانت له معاركه النقدية الحادة، كما أصدر ديوان شعر بعنوان الشاطئ المجهول (١٩٣٥م) وكتاب طفل من القرية (١٩٤٦م) وهو سيرة ذاتية من وحي كتاب الأيام لطه حسين، وفي هذه المرحلة أيضًا أصدر

(١) سيد قطب. *طفل في القرية*. ص ١٧٤: ١٨٠.

(٢) عبد الله العقيل. ٢٠١٥م. *الأطياف الأربعة*. مركز الإعلام العربي: مصر. ص ١٦٨.

كتاب النقد الأدبي أصوله ومناهجه (١٩٤٨م) تميز بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفيه برزت بدايات نظريته في كتابه في ظلال القرآن.

وفي المرحلة الأدبية ظهرت بواكير اهتماماته الإسلامية، فنشر مقالة التصوير الفني في القرآن في مجلة المقتطف (١٩٣٩م) ثم ما لبث أن عاد إلى الفكرة ذاتها فاتسع بها وأصدر التصوير الفني في القرآن (١٩٤٥م) ومشاهد القيامة في القرآن (١٩٤٧م) وهما دراسة جمالية بلاغية جديدة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

٢ـ ومرحلة العمل الإسلامي.

وأما المرحلة الإسلامية، فقد جمعت بين العمل الإسلامي والكتابة الإسلامية وفيها نشر كتاب في ظلال القرآن (١٩٥١ – ١٩٦٤م) في ثلاثين جزءًا، جمع فيه خلاصة ثقافاته الفكرية والأدبية وتأملاته القرآنية العميقة، وآرائه في واقع العالم الإسلامي خاصة، والأوضاع الإنسانية في العالم المعاصر، وكانت فكرة الظلال والقيم التعبيرية ركيزة هامة في هذا الكتاب، وكذلك أصدر طائفة من الكتب الإسلامية ذات طابع خاص منها: العدالة الاجتماعية في الإسلام (١٩٤٩م) السلام العالمي والإسلام (١٩٥١م) معالم في الطريق، وقد بلغت مؤلفاته حوالي ستة وعشرين كتابًا.((١))

وفـاتـه:

أغلقت الحكومة المصرية " صحيفة الإخوان المسلمون "الذي كان يرأس تحريرها الشيخ سيد قطب رحمه الله وذلك لمعارضة الاتفاقية المصرية البريطانية، ثم انتقل ال بني سويف وأصدر هناك نشرة سياسية فألقي القبض عليه [٢] وحكمت عليه محكمة الشعب بالسجن خمسة عشر عاما مع الأشغال الشاقة [٣] لاقى فيها

(١) الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

(٢) مجلة المجتمع عدد /٢٠٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤ م ص ١٨.

(٣) يوسف العظم. ١٩٨٠م. *الشهيد سيد قطب*. الطبعة الأولى. دار العلم: دمشق بيروت. ص ٣٩.

صنوف من التعذيب لا تضاهيها إلا الـــــوان التعذيب في محاكم التفتيش في أوربا[١] وبالرغم مما كان يصيبه من إعياء ومرض وتعذيب إلا أن الله هيـــأ له أسباب الاشتغال بالكتابة والتأليف فأصدر أهم كتبه على الإطلاق، ونقح ثلاثة عشر جزءا من الظلال.

وبعد مضي عشر سنوات أفرج عنه سنة ١٩٦٤م بعد تدخل رئيس جمهورية العراق عبد السلام عارف ((٢)) وبعد بضعة أشهر أعيد إلى السجن من جديد بتهمة الإعداد لانقلاب مسلح، فبقي فيه عامين كاملين، وتكررت مأساة المحكمة الصورية التي انتهت بإعدام ثلاثة من قادة الحركة الإسلامية: سيد قطب، ويوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل [٣].

ومن أقواله المأثورة أثناء محاكمته:

١ــ قوله: " إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقر به حكم طاغية [٤] ".

٢ــ وقوله: " إن كنت مسجونا بحق فأنا أرضى حكم الحق، وإن كنت مسجونا بباطل فأنا أكبر من أسترحم الباطل [٥] ".

٣ــ وقوله:" انهم لا يستطيعون لأنفسهم حذرا ولا نفعا، إن الأعمار بيد الله ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها كل ذلك بيد الله، والله من ورائهم محيط [٦] ".

---

(١) بركات، محمد توفيق. *سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة*. ص ٢٠.

(٢) يوسف العظم. ١٩٨٠م. *الشهيد سيد قطب*. ص ٤٠.

(٣) بركات، محمد توفيق. سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة. ص ٢١.

(٤) زينب الغزالي. *أيام من حياتي*. دار الشروق: بيروت لبنان. ص ١٨١.

(٥) يوسف العظم. ١٩٨٠م. *الشهيد سيد قطب*. ص ٦٨.

(٦) زينب الغزالي. *أيام من حياتي*. دار الشروق: بيروت لبنان. ص ١٨١.

٤ ــ وعندما سئل: لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ قال: " لأن التورية لا تجوز في العقيدة وأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص ".

وفي صباح يوم الاثنين الموافق ٢٩/ ٨ / ١٩٦٦ م نفذ حكم الإعدام في الشيخ سيد قطب رحمه الله وأصحابه [١] فلقى الله مع إخوانه راضيا مرضيا ليضيف صفحة زاهرة لصفحات الجهاد والاستشهاد، فاللهم ارحمهم وارحمنا في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير في ظلال القرآن من حيث الوصف والتأليف.

لا يزال العلماء قديماً وحديثاً يجتهدون في تفسير كتاب الله تعالى بعناية فائقة من حيث التفسير بالمأثور أو بالرأي والاجتهاد المقبول حسب طاقتهم البشرية وبالتالي لا يمكن القطع في كثير من آياته أن هذا مراد الله تبارك وتعالى ومهما يكن فإن علم التفسير أعم من أن يكون بالمأثور أو بالرأي والاجتهاد وأعم من أن يكون متعلقاً باللفظ والمعنى.

ويعرف علم التفسير لغة: من الفسر، وهو الكشف والبيان وإظهار المعنى المعقول، والتفسير مبالغة من الفسر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان:٣٣. أي أحسن توضيحاً وبياناً للمطلوب.

وفي الاصطلاح: علم يكشف به عن معاني آيات القرآن الكريم وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية.

(١) زينب الغزالي. *أيام من حياتي*. دار الشروق: بيروت لبنان. ص ١٨١ ــ ١٨٣.

وقد اهتم مؤلف في ظلال القرآن بالتفسير بالمأثور وهو أفضل ألوان التفاسير وأولاها بالإتباع وقد اهتم به سلف الأمة وظهرت فيه المؤلفات العديدة.

ولا يمكن اعتبار كتاب في ظلال القرآن قائم كاملاً على التفسير بالمأثور مثل تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وقد سلك صاحبه رحمه الله تعالى مسلكاً خاصاً حيث كان يجعل الآية مع الأخرى تشتركان في توضيح معنى أو بيان علم كما كانت له طريقته الخاصة بالاستشهاد بالحديث الشريف وأقوال الصحابة رضى الله عنهم.

ومن أجل إبراز استعانة الشيخ سيد قطب بالتفسير بالمأثور لابد أن نبحث في معنى التفسير بالمأثور والوان التفسير بالمأثور.

تعريف التفسير بالمأثور:

المأثور في اللغة: يعني المنقول (١).

وجاء في لسان العرب أن الأثر بقية الشيء وجمعها أثار والأثر الذي ذكر في الحديث " من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه (٢)" يراد به الأجل (٣) وخرج في إثره وأثره بمعنى جاء بعده وتأثره بمعنى جاء بعده وتأثره وتتبع أثره في تأثرا ترك فيه أثرا.

أما في الاصطلاح: التفسير بالمأثور ورد بعدة تعريفات:

(١) والمأثور في المعجم الوسيط ما ورث الخلف عن السلف.

(٢) صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب من بسط له في الرزق. ج٧ ص ٩٥ وفي صحيح مسلم بشرح النووي. في كتاب البر والصلة والآداب. صلة الرحم وتحريم قطيعتها. جـ ١٦ صـ ١١٤.

(٣) أبن منظور. *لسان العرب*. دار لسان العرب: بيروت لبنان. جـ ١ صـ ١٩

الأول: النقل عن النبي صل الله عليه وسلم، والأخذ بقول الصحابي، والأخذ بمطلق اللغة والتفسير بالمقتضى [١] من معنى الكلام المقتضب [٢] من قوة الشرع.

واشتمل هذا التعريف على أربعة أمور:

١ــ النقل عن النبي صل الله عليه وسلم بروايات يمكن الاحتجاج بها.

٢ــ الأخذ بقول الصحابي رضي الله عنه.

٣ــ الأخذ بمطلق اللغة العربية.

٤ــ الأخذ بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.

الثـاني: ما جاء في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، أو أقوال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ــ بيانا لمراد الله تعالى من كتابه [٣] وضم هذا التعريف ثلاثة أمور:

١ــ تفسير القرآن بالقرآن الكريم.

٢ــ تفسير القرآن الكريم بالسنة الشريفة.

٣ــ تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

---

(١) أي يصير حكم المقتضى حكم النص ومثاله إذا قال رجل لأخر أعتق عبدك عن ألف درهم يقتضي البيع وإذا قال أعتق عبدك بغير شيء يقتضي الهبة ويقول العلماء التحريم خطاب الله المقتضى للترك اقتضاء جازما وهو يختلف عن المحذوف لأنه في المحذوف يتغير الحكم بعد ذكر المحذوف عما كان قبله ومثاله من سورة يوسف آية ٨٢ "واسأل القرية " من كتاب المغنى في أصول الفقه من ص١٥٧ – ١٥٨ – ١٦٢ لعمر بن محمد الخبازي المتوفي ٦٩١ هـ.

(٢) في تاج العروس: يقال هذا شعر مقتضب، وكتاب مقتضب واقتضبت الحديث والشعر: تعلقت به من غير تهيئة أو إعداد له، واقتضبت الكلام أي ارتجل الكلام واقتضب حديثه انتزعه واقتطعه (جـ١ ص٤٣٢) فيكون المقتضب من قوة الشرع بمعنى المنتزع بصورة سديدة أو سليمة.

(٣) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. ١٩٩٠ م. *البرهان في علوم القرآن*. دار التراث: القاهرة. جـ ٢ ص ١٥٦ ــ ١٦١.

الثالث: أن التفسير بالمأثور يشمل المنقول عن الله ــعز وجل ــفي كتابه العزيز والمنقول عن النبي صل الله عليه وسلم والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم والمنقول عن التابعين رحمهم الله [١].

وهذا التعريف يشتمل على عناصر مهمة وهي أربعة كالتالي:

١ــ المنقول عن الله عز وجل.

٢ــ المنقول عن النبي صل الله عليه وسلم.

٣ــ المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم.

٤ــ المنقول عن التابعين رحمهم الله.

ومما سبق من التعاريف نجد أن الجميع اتفقوا على الأخذ عن النبي صل الله عليه وسلم، وعن صحابته الكرام وأغفل الأول تفسير القرآن بالقرآن ولم يعتبرا التعريف الأول والثاني بتفسير التابعين ويعتبر التعريف الأخير هو الأشمل وذلك لما يلي:

١ــ تضمن تفسير القرآن بالقرآن الكريم وأهميته أنه لا يعلم مراد الله إلا الله عز وجل.

٢ــ تضمن المنقول عن التابعين رحمهم الله وفي اجتماعهم حجة يؤخذ بها.

٣ــ أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، وأن النبي صل الله عليه وسلم والصحابة الكرام كانوا أهل للغة العربية حيث نشأوا في بيئتها وفي أقوى مراحلها وأحاطوا بها.

---

(١) **الزرقاني: محمد عبد العظيم. ١٩٩٦م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. دار الفكر: بيروت. جـ ١ صـ ٤٨٠.**

وبناءً على ذلك يكون التفسير بالمأثور هو: ما جاء عن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم وما جاء منقولا عن النبي الكريم صل الله عليه وسلم، أو منقولا عن الصحابة الميامين رضى الله عنهم أجمعين، أو منقولا عن التابعين رحمهم الله.

ألوان التفسير بالمأثور:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

وهو أعلى مراتب التفسير على الإطلاق وذلك لأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل وهو جل وعلا أعلم بمراد نفسه من غيره ولابد لمن يريد تفسير شيء من القرآن من التأمل والتدبر فيه، ففيه من الآيات ما يفسر بعضها بعضاً في أماكن مختلفة وأحيانا يأتي تفسيرها عقبها مباشرة وهذا فعل النبي صل الله عليه وسلم حيث كان يفسر القرآن بالقرآن ويحث الصحابة على ذلك فقد روى عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ الأنعام: ٨٢ شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: انه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لأبنه ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ لقمان:١٣[1] فما كان من الصحابة ومن آتى بعدهم إلا أن يقتدوا بالنبي صل الله عليه وسلم لأنهم أدركوا أن الله تبارك وتعالى أعلم بمراد نفسه من غيره.

(١) رواه البخاري في تفسير سورة لقمان من كتاب التفسير جـ ٨ صـ ٣٩٤ ــ ٣٩٥ من فتح الباري.

(٢) **ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ١٩٩١م.** ***إعلام الموقعين.*** **دار الكتب العلمية: بيروت. جـ ٢ صـ٢٨٨.**

وهذا ما أشار إليه ابن القيم بقوله: "ان طريقة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كالأئمة الأربعة وغيرهم هي أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه، ويبنه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها ببعض، ويصدق بعضها بعضا، فإنها كلها من عند الله [1]"

أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن:

١ ـ أن تفسر آية ما أجمل في موضع آخر، من ذلك قوله تبارك وتعالى في سورة الفاتحة: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ فقد فسر الله تبارك وتعالى المنعم عليهم – وهو أعلم – بقوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ النساء: ٦٩

٢– أن تأتي الآية لتخصص ما جاء عاما في مكان آخر أو في نفس الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ البقرة: ٢٥٤

ففي هذه الآية الكريمة نجد أن نفي الخلة عام خص منه المتقون في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ الزخرف: ٦٧

وكذلك الأمر للشفاعة فاستثنى الله من أذن له فيها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ النجم: ٢٦

٣_ كذلك ما جاء موجزا في موضع ما جاء مبسوطا في موضع آخر ومثال ذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٨ ﴾ البقرة: ٢٢٨

وهذه الآية عامة في كل مطلقة [١] ولم يوضح المدخول بها أم لا وهل هي الصغيرة التي لم تبلغ بعد أم الكبيرة اليائسة من المحيض؟ ولكن بالنظر الدقيق عرف أن لفظ المطلقات وإن كان عاما لكن أريد به الخصوص [٢] في الزوجات المدخول بهن ذوات الحيض أي غير الحاملات وذلك لأن في السور الأخرى يشرح حالات الطلاق الثانية مثل حكم المطلقة قبل الدخول بها كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩ ﴾ الأحزاب: ٤٩

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر. ٢٠٠٣ م. *أحكام القرآن*. دار الكتب العلمية: بيروت. جـ ١ صـ١٨٥.

(٢) القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. دار الشعب: القاهرة. جـ ١ صـ ٩٢٠.

وكذلك حكم المطلقة وهي حامل والمطلقة الصغيرة وأيضا اليائسة من المحيض من قوله تعالى:﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ الطلاق4

٤ــوليحمل ثانيا المطلق على المقيد ومثاله قوله تبارك وتعالى:﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ المائدة: ٣

فالدم هنا مطلق عن المقيد، ولكنه ورد مقيدا في سورة الأنعام بقوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾ الأنعام: ١٤٥

فقيد الدم هنا بكونه مسفوحا فيعلم أن الدم المراد في آية المائدة الدم المسفوح المنصوص على تحريمه في آية الأنعام لأن الحكم واحد في الآيتين وهو التحريم والسبب واحد كونه دماً [1].

(١) خلاف، عبد الوهاب. *علم أصول الفقه*. مكتبة الدعوة: مصر. ص ١٩٣.

٥ــومثال آخر لتفسير كتاب الله تعالى العام على الخاص قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ المائدة: ٣

فكلمة الميتة هنا جاءت عامة لجميع أنواع الميتة وفي نفس السورة وردت آية خصصت نوع من الميتة غير محرم، بل حلال حتى للمحرم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المائدة: ٩٦

ثانياً: تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة:

تعتبر السنة النبوية الشريفة المرتبة الثانية لتفسير القرآن الكريم وإذا صحت نسبتها وإسنادها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أبدا العدول عنها إلى غيرها وذلك بنص القرآن الكريم قال تبارك وتعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤

ومما يؤكد ذلك المعنى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ النساء: ٨٠ وكذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

وكذلك حين سأل رسول الله صل الله عليه وسلم معاذ بن جبل قبل أن يبعثه إلى اليمن فقال: "كيف تقضي" قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟، قال: فبسنة رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال فإن لم يكن في سنة رسول الله صل الله عليه وسلم: أجتهد رأيي. قال الحمد لله الذي وفق رسول. رسول الله صلى الله عليه وسلم [١].

أمثلة من تفسير القرآن بالسنة:

بينت السنة النبوية الشريفة كثيرا مما أجمل من عبادات وأحكام وردت في القرآن الكريم، كالزكاة التي لم يبين مقاديرها، وأنواعها وأوقاتها، فوضحت ذلك السنة، وكذلك الأمر بالنسبة للحج، والصلاة لم يبين القرآن أوقاتها ولا عدد ركعاتها، ولا كيفيتها ولا كل ما يتعلق بها من شروط أو أركان أو واجبات. وجاء كل هذا موضحا في أفعاله صلى الله عليه وسلم وفي أقواله التي منها قوله عليه الصلاة والسلام: "صلوا كما رأيتموني أصلي" [٢] (وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا) المائدة ٣٨ (في قوله تعالى وقيدت بعض ما جاء مطلقا في القرآن. ويقول صاحب السنة قبل التدوين: "فإن قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد، وعلى الذراع، ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ [٣] وقد فعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أتى سارق فقطع يده [٤] هذا وقد أتت السنة مبينة للقرآن الكريم فكانت تفسر مبهمة [٥] وقيد مطلقه [٦] وتوضح مجمله وتخصص ما كان عاما فيه وتشرح أحكامه

(١) سنن الترمذي. كتاب الأحكام. باب ما جاء في القاضي كيف يحكم. جـ ٢ صـ ٣٩٤، ورواه أحمد في مسنده جـ ٥ ص٣٢٦.

(٢) صحيح البخاري. كتاب التمني. باب في إجازة خبر الواحد. جـ ١٣ صـ ٢٠٠ من فتح الباري.

(٣) الرسغ: مفصل ما بين الكف والذراع وقيل الرسغ: مجتمع الساقين والقدمين وقيل: مفصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم. لسان العرب جـ ١ صـ ١١٦٥.

(٤) سنن الدارقطي. جـ ٣ صـ ١٨١، وقال فيه ضعيف، ولكن جاء في السنن جـ ٣ ص ٢١٢ أن عليا رضي الله عنه كان يقطع من المفصل ويحسمها، ولكن في السند حجية ابن عدي "تابعي" بضم الحاء وفتح الجيم. المغني في ضبط الأسماء والكنى ص ٧٢.

(٥) المبهم: هو ما لا يفهم المراد منه، وهو مالم تتضح دلالته جـ ٢ ص ٢٦ من كتاب الإتقان للسيوطي.

(٦) المطلق: الدال على الماهية بلا قيد " جـ ٢ ص ٤٠ من الاتقان للسيوطي ".

بتفصيل مبسط كما وضحت أيضا الناسخ والمنسوخ منه، وجاءت بأحكام زائدة على ما في القرآن الكريم [1].

ثالثا: تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة:

تأتي تفاسير الصحابة رضي الله عنهم في المرتبة الثالثة لأن عدالتهم مقطوع بها، فالآيات التي تشهد بفضلهم ومكانتهم نتيجة إخلاصهم وصدقهم في نشر الدين كثيرة أذكر منها قوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩ وكذلك الأحاديث النبوية التي تشهد بفضلهم وتبين مدى حب النبي صلى الله عليه وسلم لهم كثيرة أذكر منها عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم [2]

أمثلة من تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة:

١ــ ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس قال: وسمعت أخاه [3] أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد الله بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيا ترون هذه الآية نزلت:**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ

(١) كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها حيث ورد في صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٩ ص ١٩٠ وتحريم لحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ورجم الزاني المحصن وأمثلة أخرى كثيرة، المرجع نفسه: ١١ / ١٨٨.

(٢) البخاري. في كتاب الفضائل. باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم جـ ٧ ص ٤ ــ ٥.

(٣) القائل: وسمعت أخاه هو ابن جريج، وأبو بكر بن أبي مليكة لا يعرف اسمه وعبيد بن عمير ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسماعه من عمر صحيح / فتح الباري جـ ٨ ص ١٥١.

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ البقرة: ٢٦٦

قالوا: الله أعلم، فغضب عمر_ رضي الله عنه –، فقال قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟، قال ابن عباس: لعمل، قال عمر رضي الله عنه لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله [١].

٣_ ما رواه مسلم عن أبي هريرة _رضي الله عنه _ قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي القدر فنزلت [٢]: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ القمر: ٤٨ وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ القمر: ٤٩

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

يعد تفسير التابعين في المرتبة الأقل من تفسير الصحابة رضي الله عنهم لأنهم لم يعاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدركوا الأحوال والقرائن وأسباب النزول التي اختص بها الصحابة رضوان الله عليهم، لذا عده العلماء _ أي تفسير التابعين _ في المرتبة التي تلي مرتبة تفسير الصحابة رضي الله عنهم نظرا لاحتكاكهم بهم، وتلقي غالب تفاسيرهم وعلومهم عنهم، ولقربهم أيضا من عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وتفرغ

(١) صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة. ج ٨ ص ١٥١ من فتح الباري، وذكره السيوطي في الاتقان ج ٨ ص ٢٤٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر ج ١٦ ص ٢٠٥ بشرح النووي، وأخرجه الواحدي في كتاب أسباب النزول ص ٢٢٨.

الكثير منهم لخدمة العلم والدين ــ وعدم تشاغلهم بالدنيا ــ فما جاء منقولا بطريق صحيح عن التابعين رحمهم الله تعالى وإن كان فيه خلاف فيكفي فيه وروده في كتب التفسير بالمأثور، وخاصة ابن جرير وابن كثير.

ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال التابعين:

ما رواه ابن جرير عن عمرو بن قتادة قال: (سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يفسر هذه الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ الزلزلة: ٧ قال من يعمل مثقال ذرة من خير كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عنده خير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٨ المؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس عليه شيء) ((١))

يروي ابن كثير ما أخرجه ابن أبي حاتم ــ في تفسير نفس الآية وسبب نزولها ــ عن سعيد بن جبير قال لما نزلت: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ الإنسان: ٨

وبالنسبة لتفسير القرآن بمطلق اللغة فإنه من الشروط الواجب توافرها في المفسر وقد قال ابن عباس: التفسير أربعة:

١ــ حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته.

٢ــ تفسير تفسره العرب بألسنتها.

(١) الطبري، محمد بن جرير. ١٩٧٢م. *جامع البيان*. دار المعرفة: بيروت لبنان. جـ ٣٠ ص ١٧٣.

٣ــ تفسير العلمـــــــــــــاء.

٤ــ تفســـــير لا يعلمه إلا الله [١].

فجعل ابن عباس من أنواع التفسير تفسيرا تفسره العرب بألسنتها وصدق في ذلك لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ يوسف: ٢ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ ﴾ الشعراء: ١٩٢ ــ ١٩٥ فلابد للمفسر من الاجتهاد والتعمق في معرفة اللغة العربية وما يتعلق بها من إعراب ومعان ومفردات، وبيان وبديع وغيره [٢].

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقد أوتي من قوة الفهم وسعة الإدراك، وقوة الحفظ الشيء الكثير ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل " [٣] فكان رضي الله عنه يفسر القرآن الكريم بحسب المنهج القويم للتفسير: فهو رضي الله عنه إذا لم يجد المعنى في المأثور فسره بما جاء في لغة العرب [٤].

استعانة الشيخ سيد قطب بالتفسير بالمأثور

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

(١) تفسير الطبري جـ ١ ص ٧٥، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١١٥.

(٢) البيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. والبديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني جـ ٢ ص ٣٢٦، ٤٧٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك. في كتاب معرفة الصحابة. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه جـ ٣ ص ٥٣٤، وعلق الذهبي على الحديث بقوله انه صحيح.

(٤) وهذا أيضا لا يخرج التفسير عن كونه مأثورا لأنه عن صحابي كريم رضي الله عنه عاش في زمن الوحي ونزول القرآن الكريم.

بينا فيما سبق [١] أن الشيخ سيد قطب رحمه الله قد حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة وكيف كان والده ووالدته _ رحمهما الله _ كانا مهتمان بالقرآن الكريم في البيت _ فحاول إظهار ما فيه من جمال التأويل، ثم إرجاعه في إحساس المسلمين جديدا كما تلقاه العرب أول مرة فسمروا به جميعا [٢].

يقول رحمه الله محددا أسلوبه في التفسير ومعتمدا فيه على القرآن الكريم نفسه: " وكل ما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روحي وتحجب روحي عن القرآن، وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية وما أحفل القرآن الكريم بهذه الإيحاءات " [٣].

وكما أسلفنا أن أول درجات التفسير وأهمها هو القرآن الكريم لأنه يفسر بعضه بعضا، فما أطلق في مكان قد قيد في مكان آخر، وما أوجز في مكان قد بسط في مكان آخر، ونجد أن الشيخ سيد قطب رحمه الله لم يتبع تفسير القرآن بالقرآن إلا قليلا، واتبع طريقة أخرى حيث كان في أوائل السور يعطي فكرة عامة عن السورة المراد تفسيرها ثم يقطع السورة إلى مقاطع ودروس بحسب تسلسل الآيات ويجمع أهم الآيات التي تتحدث عن موضوع معين ويعلق عليها بأسلوب سهل ممتنع وبكلمات قليلة معبرة بعد أن يقدم لها ما يربط بينها ليقدم بذلك صورة متكاملة للموضوع، لأنه يؤمن بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

ومثـــال ذلـك:

---

(١) عند الحديث عن نشأة الشيخ سيد قطب.

(٢) سيد قطب. *مشاهد القيامة في القرآن*. دار الشروق. ص ٧.

(٣) سيد قطب. ١٩٨٢م. *في ظلال القرآن*. جـ ١ ص ٦، دار إحياء الكتب العربية.

١ــ ما جاء في التعريف بسورة آل عمران :[١] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ آل عمران: ٢٣ ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩ ﴾ آل عمران: ٦٩ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾ آل عمران: ٧١ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩ ﴾ آل عمران: ٩٨ ـ ٩٩

فالشيخ سيد قطب رحمه الله قد جمع الآيات ليبين الموقف الحقيقي لأهل الكتاب من الجماعة المسلمة والعقيدة الجديدة الممثلة في الإسلام.

اــ فهم لم يقبلوا تحكيم كتاب الله المنزل على النبي (صل الله عليه وسلم) واعرضوا عنه رغم أنه جاءهم كتاب من عند الله ــهو التوراة ــ من قبل.

ب ــ يودون خداع المسلمين وإضلالهم وإبعادهم عن حقيقة الدين الحق وتلك غايتهم الثابتة الدفينة، ولكن هيهات أن يكون النصر حليفهم في ذلك.

جــ يحاولون أن يغلبوا الجماعة المسلمة على عقيدتها فيخلطون الحق بالباطل ويحاولون جهدهم إخفاء الحقيقة وخداع المسلمين مع علمهم أن هذا خطأ فادح وأي خطأ.

(١) المصدر نفسه. جـ ١ ص ٣٥٣.

د_ يبذلون قصارى جهدهم في أن يبعدوا الجماعة المسلمة عن حقيقتها الإيمانية ويحاولون بشتى الطرق أن يحيدوا بها عن منهج الله وطريقته وما الله بغافل عما يعملون، لذا كشف نواياهم. (١)

ولذلك نراه وضح المعنى المشترك للآيات بربط بعضها ببعض.

تفسير آيات بآيات من سور أخرى:

نضرب أمثلة لاستعانة الشيخ سيد قطب رحمه الله لتفسير آيات بآيات من سور أخرى:

١_ عند تفسيره للمقطع الأخير من سورة هود من قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ هود: ١٠٠ إلى قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ هود: ١٢٣

قال رحمه الله: " هذه خاتمة السورة تشمل على تعليقات وتعقيبات متنوعة مبنية على ما سبق في سياق السورة من المقدمة والقصص، وهذه التعليقات والتعقيبات شديدة الاتصال بما سبق من سياق السورة متكاملة معها في أداء أهدافها كذلك "(٢)

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ هود: ١٢٣

قال: " وهكذا اختتم السورة التي بدئت بالتوحيد في العبادة والتوبة والإنابة والرجعة إلى الله في النهاية بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده والرجعة إليه في نهاية المطاف، وذلك بعد طول التطواف في آفاق الكون

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. جـ ١ ص ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه. جـ ٤ ص ١٩٢٦.

وأغوار النفس وأطواء [1] القرون ". ثم قال: "ومن ثم جاء التعبير القرآني عن حقيقة التوحيد بالأمر والنهي معا يؤكد أحدهما الآخر".

ويذكر الشيخ سيد قطب رحمه الله نماذج لآيات من سورة هود ويربطها بآيات بنفس المعنى من سور أخرى مثل قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود: ١ وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦﴾ هود: ٢٥ – ٢٦ وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ هود: ٥٠ وكلها آيات من سورة هود ثم يجمع معها آيات بنفس المعنى موضحة لها من سورة النحل فيورد قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾ النحل

ومثال أخر قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦٧﴾ آل عمران: ٦٧ ومن سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾ الأنعام: ٧٩

ومثال أخر في سورة الفرقان حيث استشهد بتفسيرها بآيات قرآنية من سور أخرى ليزداد المعنى وضوحا وذلك لقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ الفرقان: ١

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. جـ ٤ ص١/ ١٩٣٤، والطي: نقيض النشر لسان العرب جـ٢ ص ٦٣١. وغور كل شيء عمقه وبعده، والغور: المطمئن من الأرض والغار الحجر الذي يأوي إليه الوحش.. والجمع القليل أغوار والكثير غيران: لسان العرب جـ ٢ ص ١٠٢٦: ١٠٢٧ وعليه يكون أغوار بمعنى أعماق النفس.

أراد أن يبين صفة العبودية كما وردت في القرآن الكريم ويراد بها بيان موضع التكريم والتعظيم للمصطفين من بني الإنسان فقال: "كذلك وصفه في مقام الإسراء والمعراج في سورة الإسراء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ الإسراء:١ وأيضا وصفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مقام دعائه ومناجاته في سورة الجن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ ﴾ الجن: ١٩ وأيضا وصفه (صل الله عليه وسلم) في مطلع سورة الكهف قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ الكهف: ١

والوصف بالعبودية في هذه المواضع له دلالته على رفعة هذا المقام وأنه أرفع ما يرفع إليه بشر من بني الإنسان، كما أن فيه تذكيرا خفيا بأن مقام البشرية حين يبلغ مداه لا يزيد على أن يكون مقام العبودية لله، ويبقى مقام الألوهية متفردا بالجلالة متجردا من كل شبهة شرك أو مشابهة.

ذلك أن مقام الإسراء والمعراج أو مقام الدعاء والمناجاة أو مقام الوحي والتلقي كان منزلة لبعض أتباع الرسل من قبل ومنها نشأت أساطير النبوة لله أو الصلة القائمة على غير الألوهية والعبودية، ومن ثم يحرص القرآن الكريم على توكيد صفة العبودية في هذا المقام بوصفها أعلى أفق يرتفع إليه المختارون من بني الإنسان (١).

وهناك بعض السور فسرها الشيخ سيد قطب رحمه الله بدون استعانة بأمثالها ــمن آياتــ من سور أخرى مثل سور (الرعد ــ وإبراهيم ــ والليل).

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. *في ظلال القرآن*. جـ ٥ ص٢/ ٢٥٤٨.

والخلاصة أن الشيخ سيد قطب رحمه الله لم يغفل في تفسيره المأثور المفسر لآيات القرآن الكريم وقد استفاد به وفق منهجه الخاص على النحو الذي تمت الإشارة إليه.

ثانيا: استعانة الشيخ سيد قطب رحمه الله بالسنة الشريفة في التفسير:

ونظرا لأن السنة المطهرة بيانا للقرآن الكريم وتنفيذا لأمر الله وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ **النحل:** ٤٤ لذلك كان تفسير القرآن بالسنة من التفسير بالمأثور، وخاصة إذا صحت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أهتم العلماء بالأحاديث الشريفة في تفسير القرآن الكريم، ولكن بدرجات متفاوتة، فمنهم من يضع الحديث أيا كانت درجته، ومنهم من كان يتحرى الصحيح، ومنهم من يستشهد بالحديث ثم يشير إلى صحته أو أن في إسناده ضعفا أو خلافه [(١)].

والشيخ سيد قطب رحمه الله كان كغيره من المفسرين يستعين في تفسير القرآن الكريم بالأحاديث الشريفة ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- في تفسير قوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠

(١) محمد أديب صالح. ١٩٨٨م. *لمحات في أصول الحديث*. المكتب الإسلامي: لبنان. ص ٧٩: ٨٠: ١٩٢: ٢١٠ بتصرف.

يقول رحمه الله عن الأمة الإسلامية:

هذه صفتها ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني فإما أن تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ مع الإيمان بالله ــ فهي موجودة وهي مسلمة، وإما لا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة، وغير متحققة فيها صفة الإسلام. وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة تقرر هذه الحقيقة ندعها لمواضعها وفي السنة كذلك طائفة صالحة من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم [١] وتوجيهاته نقطف بعضها:

(أ) عن أبن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما وقعت بني إسرائيل في المعاصي نهتهم علمائهم، فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم. ثم جلس ــ وكان متكئا ــ فقال صلى الله عليه وسلم: " لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا " [٢].

(ب) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صل الله عليه وسلم)): " ان من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " [٣].

(ج) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله " [٤].

---

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. *في ظلال القرآن*. جـ ١ ص١/ ٤٤٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة جـ ٤ ص ٣١٨ وقال فيه: حسن غريب، وأبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي جـ٤ ص ٥٠٨ بلفظ آخر وفيه " ولتأطرنه على الحق أطرا " أي لتردنه عن الجور، وأصل الأطر: العطف والثني.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الفتن باب أفضل الجهاد كلمة عدل جـ ٣ ص ٣١٨ وقال فيه حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب جـ ٣ ص ٩٥ وقال فيه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافق عليه الذهبي.

٢ــ ما أتى به عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣

وأورد عدة أحاديث تفسر الآية وتوضحها منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: " لما نزلت الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣ شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سددوا وقاربوا فإن كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها " (١). ــ وكذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ مريم: ٩٦

فذكر أن للتعبير بالود في هذا الجو نداوة رضية تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس وهو ود يشيع في الملأ الأعلى ثم يفيض على الأرض والناس فيمتلئ به الكون كله ويفيض (٢).

ثالثا: استعانة الشيخ سيد قطب رحمه الله بأقوال الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ في التفسير:

أقوال الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ مصدر أساسي للتفسير وقد أخذ به الشيخ سيد قطب رحمه الله في تفسير بعض السور ومثال ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ

(١) صحيح البخاري كتاب المرض باب أشد الناس بلاء الأنبياء جـ ١٠ ص ٩٧ من فتح الباري، ومسلم في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه جـ ١٦ ص ١٣٠ واللفظ له.

(٢) سيد قطب. ١٩٨٢م. *في ظلال القرآن*. جـ ٤ ص١/ ٢٣٢١.

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الإسراء: ٢٦ – ٢٨

حيث قال رحمه الله: والقرآن ينهى عن التبذير، كما يفسره ابن مسعود وابن عباس ــ الإنفاق بغير حق. وقال مجاهد لو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا. (١) وهذا مثال حيث استشهد رحمه الله بأقوال الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ في تفسير بعض الآيات القرآنية وليست داخلة في أي حديث.

رابعا: استعانة الشيخ سيد قطب رحمه الله بأسباب النزول:

اهتم الشيخ سيد قطب رحمه الله بأسباب النزول كنوع من التفسير بالمأثور وكان رحمه الله يأتي بروايات أغلبها صحيحة، وكان رحمه الله يذكر مطلع السورة المراد تفسيرها ثم تعليقا مناسبا ليعطي القارئ فكرة عن موضوع السورة ثم يقسمها إلى مقاطع ويبدأ في تفسيرها وإذا كان للسورة أسباب نزول ذكرها، وكان رحمه الله يورد أسباب النزول في أول السورة إن تعلق بها، أو يورد أسباب النزول قبل أو بعد الآيات إن كان متصلا بها وفي بعض الحالات كان يأتي بالسبب مسندا ومخرجا بألفاظه في المرجع الذي أخذ منه، وأحيانا يأتي به مسندا وغير مخرج، وأحيانا بمعنى النص من غير ذكر مرجعه، وكان رحمه الله يورد السبب الراجح إذا تكرر مع آيات أخرى.

وكان رحمه الله أيضا يأتي بسبب النزول بدون تعليق مسبق أو تمهيد مسندا ومخرجا مع الحكم عليه مثل تفسيره لسورة المزمل. وكان رحمه الله أيضا يأتي بسبب النزول مخرجا وغير مسند مثل ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى (٢): ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن

(١) أبن كثير القرشي الدمشقي. *تفسير القرآن العظيم*. جـ ٣ ص١/ ٢٢٢٢.

(٢) سيد قطب. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. جـ٥ ص٢/ ٢٨٤٤.

يَنتَظِرُّ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٣ وكان رحمه الله أيضا يأتي بسبب النزول بمعناه دون لفظه مثل ما جاء في تفسيره رحمه الله لسورة الضحى [١].

وكان رحمه الله إذا تكرر سبب نزول الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لقمان: ١٥

حيث وردت روايتان فقد رجح الشيخ رحمه الله الرواية الصحيحة منهما واعتبر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو صاحب نزول الآية.

خامسا: استعانته بعرض الواقع التاريخي:

تفرد الشيخ رحمه الله دون غيره من المفسرين وفق منهج معين بعرض الواقع التاريخي لبعض الآيات القرآنية مما يساعد على فهم المراد بالآية والاستفادة وأخذ العبرة حيث ظهرت العديد من السنن الإلهية فكان رحمه الله يربطها بالآيات وذلك كالتالي:

ـ يجمل واقع المجتمع وقت نزول الآيات.

ـ يؤيد هذا الواقع بالأحداث المروية من كتب السيرة النبوية والتاريخ الدالة على هذا الواقع.

ـ يربط هذا الواقع بالآية أو الآيات المراد تفسيرها.

ـ يشير إلى كيفية الاستفادة من هذه الآية أو الآيات في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. جـ٦ ص٢/ ٣٩٢٥.

ـ وهذا المنهج أمثلته في تفسير آيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب [1] من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

المبحث الثاني: كيف كتب الشيخ سيد قطب رحمه الله تفسيره في ظلال القرآن.

المطلب الأول: الأسس التي بني عليها الشيخ سيد قطب رحمه الله تفسيره في ظلال القرآن.

المطلب الثاني: طريقة الشيخ سيد قطب رحمه الله في التفسير.

المطلب الثالث: أهم ميزات تفسير في ظلال القرآن.

(١) سيد قطب. ١٩٨٢م. في ظلال القرآن. جـ٥ من ص٢/ ٢٨٣٢.